Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

The Pattern of Rebellion in the Poetry of Ibn al-Hajjaj al-Baghdadi (d. 391 AH): Occasional Poetry as a Model

Dr. Shaimaa Jouda Yasser
University of Thi-Qar / Collage of Arts/ Arabic Language
shaimaajoda@utq.edu.iq
https://orcid.org/0009-0005-9670-3302
https://doi.org/10.32792/tqartj.v2i44.496
Received 2/10/2023, Accepted 26/11/2023 , Published 31/12/2023.

Abstract

This research attempts to study the pattern of rebellion in occasion poetry by Ibn al-Hajjaj al-Baghdadi. There are patterns that the poet attempted to convey through his poetry. The poet rebelled against everything that contradicted norms and exceeded all boundaries, using language that bordered on absurdity and satire. In fact, through this rebellious breach, he challenged authority and the significant transformations that the Islamic society underwent, considering it an external exploiter. With this rebellious movement, he aimed to reject reality and stood alone in working across political, social, and religious domains in which he lived. Essentially, his rebellion constituted a continuous confrontation against the aspects of decay in politics, religion, and society as a whole, targeting both the ruling authority and the masses, as they represent the hierarchical structure of power in all its manifestations. However, the elements of Arab authenticity in the revolutionary nature fuel the values for countering this reality and critiquing it poetically.

Keywords: pattern, rebellion, Ibn al-Hajjaj, occasion, authority.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

نسق التمرد في شعر ابن الحجاج البغدادي (ت٣٩١ه) " شعر المناسبات انموذجاً "

م. د. شيماء جودة ياسر
جامعة ذي قار – كلية الآداب

الملخص

سيحاول هذا البحث دراسة نسق التمرد في شعر المناسبات عند ابن الحجاج البغدادي . فهناك انساق حاول الشاعر تمريرها من خلال شعره . فالشاعر تمرد بكل ما هو مخالف وتجاوز كل المعايير في لغة اقرب ما تكون للسخف منها للسخرية ، بل عمد بهذا الخرق التمرد على السلطة والتحولات الكبيرة التي تعرض لها المجتمع الاسلامي كونه مستغل خارجيا ، فحاول بهذه الحركة التمردية رفض الواقع وينفرد التمرد بكونه يعمل على المجالات السياسية والاجتماعية والدينية الذي يعيش فيه ، بمعنى انه يشكل مواجهة مستمرة لجوانب الانحطاط في السياسة والدين والمجتمع كافة مستهدفا السلطة الحاكمة والجماهير كونها بناءً هرميا للسلطة بكل تجلياتها ، الا ان عناصر الاصالة العربية في طبع الثوري تؤجج القيم للتصدي لهذا الواقع ونقده شعريا .

الكلمات المفتاحية : النسق , التمرد , ابن الحجاج , المناسبة , السلطة .

المقدمة :

إن الدافع في تناول النصوص التي تخص التمرد في شعر ابن الحجاج وتفكيكها وتحليلها في سياقها الثقافي يعد أحد الممارسات النقدية الحديثة التي عملت على استنطاق الخطاب الأدبي وقراءته قراءة نسقية تستنطق مكنوناته , وتحدد أهدافه من أجل الوقوف على طبيعته وعلاقته بالنظام الثقافي في عصره , وقد اعتمدت على ديوان الشاعر في تحليل نصوصه وبعض المصادر التي تناولت موضوعات الانساق والنقد الثقافي , وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه على

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

مبحثين , وقد جاء المبحث الاول متناولا ثلاثة مطالب , المطلب الأول: ماهية النسق والمطلب الثاني : مفهوم التمرد , والمطلب الثالث : المناسبة في شعر ابن الحجاج , أما المبحث الثاني جاء بثلاثة مطالب أيضا , المطلب الـ أول : نسق التمرد الديني, والمطلب الثاني: نسق التمرد الاجتماعي , أما المطلب الثالث : نسق التمرد السياسي , وتلته قوائم الهوامش والمصادر مسبوقة بخاتمة البحث .

المبحث الأول : المطلب الأول : ماهية النسق والتمرد

المطلب الأول: مفهوم النسق .

جاءت في المعاجم العربية أن مفهوم النسق لغوياً مرتبط بمفهوم النظام، ومنه معجم العين إذ يقول صاحبه : إن ((النسق من كل شيء : ما كان على نظامٍ واحدٍ عام في الاشياء ، ونسقه نسقاً ونسقته تنسيقاً ، وتقول : انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي انتسقتْ))[١]. وذكر ابن منظور في كتابه بأن ((النسق من كل شيء : ما كان على طريقة نظام واحد عام في الاشياء , و نسقه نظمه على السواء ، وقد اتسقت هذه الاشياء بعضها الى بعض أي تنسقت ، والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئاً بعده جرى مجرى واحداً))[٢].

أما ابن فارس فجاء بتوضيح للجذر اللغوي لكلمة (نسق) فقال أن ((النون والسين والقاف اصل صحيح يدل على تتابع في الشيء ، وكلام نسق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض ، واصله قولهم ثغر نسق ، اذا كانت الاسنان متناسقة متساوية))[٣]. ونستنتج من التعريفات اللغوية أن النسق الذي جمعه أنساق يعني النظام والانتظام في الشيء .

أما اصلاحا فهو كما يرى الدكتور عبدالله الغذامي أن النسق عبارة عن ((دلالة مضمرة ليست مصنوعة من المؤلف ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب ، مؤلفاتها الثقافة ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير والنساء مع الرجال والمهمش مع السود))[٤], أما الدكتور يوسف عليمات فيصفه بأنه ((نظاماً علائقياً فوقياً متعالياً محملاً بمرجعيات ثقافية أيدولوجية وأطر معرفية جمعية))[٥], فهو بهذه الرؤيا النسقية يذهب إلى أن النسق يتكامل ويؤسس مع اللغة الثقافية نظام من الاحتمالات الإشارية غير منتهية العلاقات المرجعية .

المطلب الثاني : مفهوم التمرد.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

جاء في لسان العرب مرد على الأمر يمرد مرودا فهو مارد, وتمرد أقبل وعتا, والمرد العاتي[٦], واتفقت معظم المعاجم العربية على أن المعنى الذي تحمله لفظة تمرد هو العصيان والخروج عن المألوف.

أما التمرد اصطلاحاً: فهو ظاهرة انسانية أخذت نسقها من واقع الفرد داخل المجتمع الذي يعيش ضمنه, فقد اتخذ التمرد صور ومواقف عدة , منها الرفض والسخط والبحث عن البدائل والاحتجاج والمعارضة[٧], إذ يشعر الفرد المتمرد على صعوبة التكيف مع المجتمع , مما يؤدي بالفرد إلى التصادم والتقارب مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليده والأنظمة التي تحكمه والمفروضة عليه.

المطلب الثالث : المناسبة في شعر ابن الحجاج

ابن الحجاج هو الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج، النيليّ البغدادي، أبو عبد الله (ت ٣٩١ه). شاعر فحل، من كتاب العصر البويهيّ. غلب عليه الهزل. في شعره عذوبة وسلامة من التكلف , ويوصف بأنه شاعر العصر وسفيه الأدب وأمير الفحش , و كان ينظم القبائح وخفة الروح يضرب به المثل شهرته في شعر السخف والمداعبة والأهاجي وقال ابن خلكان عنه بأنه فرد زمانه، لم يُسبق إلى تلك الطريقة.[٨] وقد شهد المجتمع العباسي الكثير من المناسبات , وكان الشعر الراصد الحقيقي لها وموثقاً دقيقاً للأحداث في النصوص الشعرية , فكانت بمثابة ثروة أدبية ؛ لأن كل مناسبة عبرت عن حدث خاص له قيمته التاريخية من اعتلاء بعض التفاصيل المفقودة التي قد تكون هامة في قراءة التاريخ حيث كمنت وراءه مضمرات تاريخية قد مزجت بين الهزل والجد والكلام المقذق متخذه طابعاً رمزياً من وراء ذلك .

فقدمت النصوص الشعرية تصويراً لما كان يجري , وشهد القرن الرابع الهجري عودة المظاهر الاحتفالية البصرية بعد انقطاع طويل , بدأت نشر المسابقات ذات الطابع الاحتفالي بين الناس , وكان قارئ الشعر يتجول في المهرجانات التي تسود فيها الروح الاحتفالية المرحة بما لها من مواكب ودمى واعراسٍ وعربداتٍ تزينها شعرية الصحف التي تمتاز بالشعرية إذ شكلت اطاراً لكل التناقضات في المجتمع العباسي وما مر به من أحداث وما ظهر به من عيوب ذاتية واجتماعية ؛ نتيجة تأثره بالثقافات والعادات الدخيلة و ابرزها العادات الفارسية [٩] , وظهر بشعر ابن الحجاج بتمهيديته

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

الغرائبية أجواء وأوصاف الاحتفالات بشتى المناسبات , الأعياد والمواليد وعاشوراء والنيروز , وجاءت هذه الأجواء مقترنة بلغة مكشوفة وبأنساق ثقافية ظاهرة تارة ومضمرة تارة أخرى ليعبر بواساطتها عن تمرده على الدين والمجتمع والسياسة .

المبحث الثاني: المطلب الأول : نسق التمرد الديني في شعر ابن الحجاج.

بطبيعة الحال، لم يكن الشعر منعزلاً عن قضايا المجتمع أحداثه لا سيما الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، فمنذ العصر الجاهلي كان الشاعر ناقلاً للحياة فتولدت عنه مجموعة من الانساق منها: ((اقتصادي, علمي, ثقافي, سياسي))[١٠]، لعل القارئ لأحداث التاريخ يجد أن الشعر أهم ناقل للأحداث، وأن القصيدة في مراحلها المختلفة لم تتدخل عن كونها الوثيقة الأهم في نقل الواقع فستقطبت واقعة الغدير الكبرى والمصيرية اهتمام الشاعر في الرد على كل الحركات و الفئات التي كانت تريد تأطير الإسلام بأطر سياسية واجتماعية تتفق مع مصالحها وتبعده عن جوهره الحقيقي إذ يقول الشاعر :[١١]

يا خليلي إن يوم الغدير يوم قصفٍ ولذَّةٍ وسرورِ
إنَّ يومَ الغدير عيدٌ كبيرٌ فاشربا بالكبيرِ لا بالصغيرِ
لا تُطيلا الملام وانتهزوا بيْ فرصة العيش في الزمانِ القصيرِ
اشرب الرَّطل رطل كرم أوانا مُترعاً قبل رطلِ ماء الشَّعيرِ

إذ يجعل من (عيد الغدير) وهذه المناسبة الدينية المهمة على مر العصور نسقا ظاهرا للذة والشرب والسرور إذ شكلت اللغة دور معرفي لدى القارئ في تعرية المنظومة الثقافية في العصر آنذاك ، استطاع الشاعر من خلالها عكس الواقع المرير للمجتمع الذي مثل النسق المضمر ، خلوصا لنداء والأمر اللذين ينحرفان من وجهة نظر تركيبية وصرفية وحتى فنولوجية في الغالب , إذ ترتكز معرفة الشاعر في يوم الغدير وأهمية على ثبات الهوية , إذ أن الهوية الشيء تكمن في الفكرة التي يأخذها عنه بناء على غرض أو اهتمام ما ،

الملاحظ ان الشاعر اكسى القصيدة بكساء السخف ، لأن الواقع الثقافي الموجود من مجون وفحش فرض عليه النطق بذلك و مسايرتهم حسب أفكارهم وميولهم , فجاءت الألفاظ بأسلوب العصر وجعله وسيلة احتجاجية للتحلل

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

الديني ، والاستهانة بالقيم الإسلامية , بل يتعدى الشاعر ليصدم وعي القارئ من خلال الأسلوب اللغوي الذي استخدمه في مفردات الأبيات (لذة، سرور، الشراب) فأحدث دهشة وغرابة، وبسبب خلخلة في توقعات القارئ الذي ألف استخدامات منطقية للغة تناسب حجم الفعل الديني وأراد بالشراب نسقا مضمرا لأخذ شراب أهل الجنة الذي يتفضل الله به على عباده الحال من المضار التي تتصف به خمر الدنيا، التي تذهب العقول وتصدع الرؤوس وتوجع البطون، وتمرض الأبدان ، وتجلب الاسقام،، وتتضح لنا أهمية هذه المناسبة في قوله : (١٢)

قل لابن سعدان وهو سيِّدُنا سُرُمُ أم شانيك أشيب أَلحـ . . . . ى
صَبُوح يومِ النيروزِ مُفترضٌ ما بين عيد الغدير الاضحى

ويأخذ الاستهزاء بالسلطة إذ يقول :(١٣)

أظـ . . . . . ن مـ . . . . ولانا عن الـ . . . رأي الصَّوابِ قد
سهـ . . . . . ا
والمرء ينسى حظـ . . . . . هُ وفيـ . . . . . هِ خُبـ . . . . . ثَ
ودهـ . . . . . ا
فارجع إلى الخمر التي هـ . . . . ي الحـ . . . . . رام
المشتهـ . . . . . ى
اقطع ليالـ . . . . ي البـ . . . . . ها في شهـ . ر شعبـ . . . . . ان
بهـ . . . . . ا
فإن شهر الصوم فـ . . ي عُ . . . . . قوقِهِ . . . ا
كَـ . . . . . فٌ لهـ . . . . . ا
فابق بقـ . . . . . اءً يبُتـ . . . . . دى
مُستأنفـ . . . . . اً إذا انتهـ . . . . . ى

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

اسلوب الازداوجية في الكلام هذا ما تميز به الشاعر في معظم قصائده ليصدم وعي القارئ من خلال اسلوبه اللغوي، إن هؤلاء الخلفاء المعروفين بالرأي الصائب والحكمة ، هم نفسهم المستهين بالقيم الدينية و الأشهر الحرم بأن كل ممنوع لديهم مرغوب (ارجع الى الخمر) (هي الحرام المشتهى) وهذا يمثل النسق المضمر ويفشي عن نوع الفساد الذي وصلت اليه السلطة آنذاك والقاء تبعية ذلك على عاتق الشعب، التي فسدت وزادت فساداً بوجود الفاسدين .

وله في موضع آخر إذ يقول : (١٤)

الحمـ . ـد للهِ وشكراً له شعـ . ـري لحمدٍ شاكرٌ حامـ . . ـدُ
مستوزرمن بعض عُماله في شُرب كُوثى وحدها صاعِدُ
صام فأرضى الله في صومه ال مفروض ذاك الناسك العابدُ
واستقبل الفطر بمشمولةٍ تحملها ممكـ . ـورةٍ ناهِـ . . . . ـدُ
كأنها في يدها خمرةٍ قاتلة غصـ . . . . ـن بها مائـ . . ـدُ

موقف ابن الحجاج في اغداقه على ممدوحه صوراً دينية فهو بهذا يبتكر خطاباً مضمراً تعويضاً تتعدد مرتكزاته التشويقية لشرعنة السلطة الحاكمة , المرتكزة على الأسس الدينية مدعياً عمل الحاكم في تطبيق فرض من شريعة الاسلام وهو الصوم وموظفاً في خطابه المدحي المعاني المقدسة (الناسك , العابد) فالشاعر يشيع لمفاهيم ويبث قيماً تحمل في طياتها الابتعاد والتمرد على الاسلام من خلال التحول بالإغواء اللغوي بقوله (واستقبل الفطر بمشمولة) فالرؤية الدينية في أول الأبيات أبدت للقارئ النظرة الاجتماعية المتداولة بين الناس عن الحاكم كونه صائم طائع لله عزّ وجلّ لكن نهاية الأبيات كسرت نسق هذه الرؤية بضياع العمل باستقباله عيد المفطر بالخمر , الشاعر هنا خالف وتمرد على ما متعارف عليه في عصره من قبل شعراء المديح , التي تصور الممدوح تصويراً يجافي الحق والواقع , وظهرت لنا هنا الحقائق العارية مجتمعة في الشعر الذي كان صدى لفساد ادارة الحكم آنذاك .

ويضعنا في موضع آخر متمرداً لنسق العادات والتقاليد المجتمعية المنبعثة في اداء الحج , إذ يقول : (١٥)

اسقني بالرَّطلِ في مُزْدلفة من كميتٍ جاوزت حدَّ الصفة
بِنتَ كَرمٍ عَنَّسْت في دَنَّها فهي في سنِّ العجوز الخرِفة

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

هرمت بالقفصِ في حاناتِها ولها تيه الفتاة الصَّلَفَ . . ة
يا أبا القاسم باكرني بها لا تكن شيخاً قليل المعرفة
ودع الأخبار في تحريفها تلك أخبار أتت مُختلِفة
إنَّما الحّج لمن حلَّ منىً ولمن قد بات في مُزدلفة

الدعوة في المجاهرة في الفسق مع قداسة المكان والتمرد على نسق العبادات والاحرام فيه على ذلك النحو اللاهي العابث أنما هو اعلاناً عن حريتهم في السلوك وفي العقيدة جميعاً , ومجاهرتهم بالقول ((لا يخشون جرح الذوق العام))[١٦]

فحرية الفكر والدين كانت لها عواقبها أنها ساعدت في نشر الخلاعة والمجون وولدت البدع في الإسلام واورثت الاستهزاء بالأديان انشأ تنافس اللذة والاشتياق إليها وإلى وصفها وضعف الرقيب الديني والاخلاقي على الحياة وتغيرت ألفاظ الشعر [١٧].

المطلب الثاني : نسق التمرد الاجتماعي .

تطورت الحياة في شتى جوانبها في العصر العباسي، إذ كان عصر حرية اجتماعية نتج عنها هذا التطور الهائل في العادات والتقاليد والأخلاق والقيم عند الطبقة المترفة، بل كان هناك من يرفضون كل هذا المنكر ويحاربونه وينفرون منه، وينبغي الإشارة أن الحرية لم تكن في الجانب الاجتماعي فحسب، بل كانت طابعاً يميز الحياة الدينية و الفكرية فكانت الحرية سمة من سمات هذا العصر إلا ما يمس الدولة والخلافة ((فكانت الأفكار من حيث مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يكره الرجل على معتقده أو مذهبه)) [١٨] .

الحجاج في مشهدية غرائبية حول هذه الحياة بمهرجاناتها المتعددة ومواكبها الاحتفالية التي تسودها روح المرح الى منظور اجتماعي يمتاز السخرية والسخف يحتج به الشاعر على مطحنة الخراب التي عاشها عصره ومجتمعه , إذ يقول في يوم المهرجان : [١٩]

إنَّما أنتِ فتنة فتنتني الـ . . عام في الدَّيرِ يومَ عيدِ الصَّليبِ
إنَّما أنتِ شمس دجنٍ على طا فةِ آسٍ مغروسةٍ في كثيبِ
يا فتاة شبابها , أمتع الله . . هُ به حُسنها, عدو مشيبي
أتقي الله و أرحمي ضُر شيخٍ ورث الضُرَّ فيكِ عن أيُّوبِ

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

الشاعر هنا يتحدث عن شخصية المغنية العباسية (عريب) التي كان لها دور في فساد المجتمع ووصفها بأنها (فتنة) لان فتن الحياة كثيرة، منها المال، الاولاد، الفقر، الفنى ومن ضمنها المرأة وقد أشار القرآن الي خطر فتنة المرأة فقال سبحانه وتعالى (زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين و القناطر والمقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) (ال عمران:١٤).

فهي هنا لا تهدد فرداً في المجتمع بل تهدد كيان الأسرة المسلمة من خلال خروجها عن العادات والتقاليد الشائعة والأعراف القائمة والتي لا تتناسب مع جوهر الدين ، فكانت ردة الفعل لدى الشاعر هو الهروب والفرار وعدم اطاعتها قد يوقع العاصي في حياة شقاء وعذاب , ونرى في موضع آخر التمرد واضح في الصورة الشعرية التي يرسمها الحجاج في يوم المهرجان وهو يوم دخول الشتاء في السنة إذ يقول : [٢٠]

يامن فداهُ الله بي ثُمّ بأُمّي وأبي
للمهرجان حُرمة تلزم اهل الأدبِ
فأجمع لنا فيه غداً شمل الغِنا والطَّربِ

ثم يقول :

مولاي يا أحسن من أدار كأس النخبِ
أقبل على حالي إن أصبتُ أو لم أصبِ
أقبل فدستي في الذي قلت صواب اللعبِ
ولا يُدبدِب أحـ . ـدٌ فإنَّ هذا أدبـ . ـي

ازدواجية الكلام في قوله ما بين الحرام والحلال، فمن جهة نشاهد أنه ذاكر لذة الحياة وما فيها من الغناء والطرب والخمر ومن جهة أخرى تمرد واعتراض تام على ما قبلها من سلوكيات تنافي الأدب والأخلاق بقوله (ولا يدبدب) وهو بهذا يحض على التحرر من متاع الدنيا واعظ نفسه بقوله هذا (أدبي).

ونراه يعكس حالة الهرج والشرب، اللهو تملأ تلك المهرجانات وفي يوم نيروز بالتحديد إذ يقول مخاطباً أبي الفتح بن العميد: [٢١]

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

قد جاءك النيروز في فضلهِ فصلِ قطاف الأحمر الجوري

فاشرب أبا الفتح على روشنٍ مبيض الحيطان معمورِ

أَرعن لا يصلح فيهِ الهوى الا لسكرا ن و مخمورِ

في دار مُلكٍ لك مِن حُسنها قد صنعت أفقية الدُّورِ

يتجلى التمرد الظاهر في ألفاظ الأبيات على الدين والقيم في المجتمع من خلال مدح شرب الخمر من قبل الشاعر ووصف مظاهر السكر واللهو بأنها من مظاهر الحسن والجمال الذي يزين المكان ووجود الممدوح الذي يخاطبه الشاعر وهو يشرب بكأس الخمر الذي أضفى عليه الشاعر ألوان الطبيعة والربيع وخاصة أن مناسبة المدح والوصف في أعياد النيروز التي في الربيع حين تزهو الطبيعة بألوانها الخلابة .

ونجد الشاعر محاولا من خلال هذه الأشعار من حيث مظهرها الاجتماعي الكشف عن الفساد المستشري في السلطة والفئة الحاكمة بوجه خاص كرد فعل الانهيار القيم وخلخلتها في العصر إذ يقول : (٢٢)

المهرجان قد أتاك ضاحكاً مستبشرا

فاشرب وإلاَّ فاسقني وحدي الحرام المسكرا

على الرغم من أن الأبيات محملة بالفرح بقدوم يوم المهرجان وكأن الشاعر خاضع لمسلمات الأمور ومساير للوضع المعايش له , لكن استثمر الشاعر هذه الأبيات من خلال النسق الاجتماعي ليوصل خطابه للمتلقي بصورة غير صريحة مضمرة عبر افصاحه عن اللهو للخلفاء والوزراء , فهو يشير بهذا النسق المضمر الى أفعالهم وقبحها للولاء الذين يدعون الانتماء للإسلام ، إلا أن أفعالهم تدل على نقيض ما يقولون في معصيتهم لله أولاً والرسول ثانياً. وتتعدد هذه الصور في يوم ثالث فطر النصارى إذ يقول : (٢٣)

يا سيّدي أنتَ يا أَبا بشرِ يوم الثلاثاء، ثالثُ الفطرِ

فانهض إليه بما تُسرُّ بهِ من الزنا واللواط والخمرِ

وكما متعارف عليه في العصر العباسي ، فإن الحكم الخلافة كان ظاهرها للعرب وباطنها حكم ساساني ، متخذين من الدين طابعاً لهم ، فكان شعر ابن الحجاج صرخة لرفض الواقع، فلذلك تجد تمرده صارماً ثقيلاً شديد اللهجة.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

وفضح للخلفاء والامراء والوزراء بنشرهم الفساد في المجتمع . واقتناء الجواري والغلمان والمجاهرة في شرب الخمر

إذ يقول : (٢٤)

سيدي المِهرجان لا يقبل العُذرَ إن جُفي

وهو يوم قلبي إلي . . . . . ـه شـ . . . . . ديد التلهُّفِ

فاصطبح قبل مطلعِ الـ . . شَّمس فيه وهرِّفِ

وخذ الكأس من يدي مرهفِ اللحظِ أهيفِ

وهو بهذا النسق يسخر ممن اعتبروا أنفسهم رموزاً للدين ، محاولة منه لتحفيز المجتمع نحو التغيير، وكانت الفاظه الساخرة والمتمردة حائط الصدِّ الذي يتلقى الارتطام، فكانت أشعاره لنقد المجتمع بمهرجاناته التي كثر فيها الفساد وشرب الخمر، إذ يسخر من المظهرين عبادة الله فيقول : (٢٥)

ورود المهرجانِ عليك فانهض إليه بالسّراني والطبولِ

وبالعيدان من رملٍ خفيفٍ ومـ . . . . . زموم إلى ثانٍ ثقيلِ

ألست ترى الشّمالِ تحثُّ أهل الـ . . صبوح على مباكرةِ الشمولِ

وتكمن السخرية في قوله:

وثقِ بالله أنك سوف تُسقى غداً كأس الرَّحيق السلسبيلِ

فليس يضيعُ عند الله حقٌّ اء . . . تقادك في تقوى آل الرسولِ

أشار الشاعر إلى المظاهر السلبية والسيئة لدى السلطة الحاكمة الذين يتمظهرون برداء الدين ويتقمصون شخصية المسلم، وأنهم أهل الدين وحراسه , لنجد أنفسنا أمام صورة مفرطة من صور التدني، ولنكتشف أن تحت هذا الرداء ما يسوء المراقب من أناس اشغلوا الدين بممارسة المحرم والمفاخرة بشرب الخمر والمباركة بها عند ساعات الصباح الأولى . وهذا منافي لما يدعون به قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوا لعلكم تفلحون)) (المائدة : ٩٠).

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

وفي نسق آخر يظهر احتفاء الأمير بيوم النيروز وشدة تشوقه لهذا اليوم الذي يعج بالمحرمات , في بيوت لها هيبتها ومكانتها عند العامة إذ يقول : (٢٦)

مولاي يامن نداهُ مقسم وبأسُه في عداهُ محذورُ
يامن حقوق النيروز تلزمه وفضل يوم النيروز مذكورُ
فأسكر من الليل وأصطبح سحراً حتى تراني وأنت مخمورُ
واستنطق الزِّير إنني رجلٌ يعجبني ما يقوله الزِّيرُ
في دارِ عزّ محروسةٍ شهدت لها بفضلٍ المحاسن الدورُ

المطلب الثالث : نسق التمرد السياسي

المتمعن في العصر العباسي الثاني يجد النظم الساسانية تنتقل بحذافيرها في شؤون الحكم كلها، وكأنما أصبح الخليفة العباسي ملكاً ساسانياً، فهو يحكم حكماً مطلقاً ، وهو حكم ينتقل الوراثة ويطيعه الدين.

وقد أخذ العباسيون، على أمثالهم _ على شاكلة الساسانيين _ يلقون في وعي الناس أنهم أصحاب حق إلهي في الحكم، واحاطوا أنفسهم بنظام تشريفات معقد، مختفين عن أعين الناس وراء استار حقيقة وبذلك أصبحنا أمام حكم استبدادي أشد ما يكون الاستبداد، حكم لا يحسب فيه للدعاية أي حساب ، فهي ادوات مسخرة للحاكم، وليس لها من الأمر شيء، ففي يده الأمور كلها.

مما دفع الحجاج البغدادي لنقل هذه الحياة بكل غلوها وترفها ومجونها، وفسادها في شعره ، فاتخذ من السخف طريقاً لنيل مقصده ويذكر المؤلف (شوقي ضيف) هناك أسباب كثيرة دفعت شعراء العصر العباسي , أما سخط شديد على الحياة السياسية , وأما شك واستهانة بكل شيء، وأما محنة نزلت بهم أو احساس يغرب من ضروب الاخفاق (٢٧) فكان المديح هو النوع الأدبي الذي اعتمد عليه الشارع لكي يلائم الطابع السياسي، ويتماشى مع الحياة الاجتماعية.

ولقرب الشاعر من الولاة كان يتخذ من المدح وسيلة لتعبير عن أفكاره وأراءه في سياسة الدولة ، ونقل أحداثها كوثيقة تاريخية للأجيال القادمة إذ يقول : (٢٨)

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

مولاي خذني فقد خرجت من الـ . دنيا ولذاتها من الحسنِ
من بنت كرمٍ زُفَّت إلي كما يُ . . . رفُّ قربانها إلى القـ . . . . . سِّ
شمطاء في الرُّوم كان مولدُها فانتقلت منهم إلى الفـ . . . رسِ
وابقَ لألفي عيدٍ مجـ . . . ددَّةٍ عليك بعدِ الخليعة اللَّـ . . بسِ

يظهر في النص التمرد السياسي ظاهرا من خلال الالفاظ التي يمدح به الممدوح , حين استعمل مفردات التي يصف بها الجواري التي يمتلكها الخليفة ذاكرا الصفات الاعجمية ومظهرهن الخارجي (الخليعة اللبس) (شمطاء من الروم) , ويذكر حين تسلط الترك في الحكم العباسي، ولم تحل اي دار من دور الدولة محنهم إذ يقول : (٢٩)

وكُلُّ ما في دار الوزير من الـ . أقلامِ والحبرِ القراطيسِ
والنقبـ . . اء الأتراك كُلُّهـ . . م بازرديـ . . . . ات والدبابيـ . . . . . سِ
مع ساتكين النقيب نصفهم ال أوّلُ والنّصف مع قلانوس
وَناكةُ الإنس حول فيشلتي وناكـ . ةُ الجنِّ حولَ ابلـ . . يسِ
وألفُ غولٍ بالليل تظهرها ما بين الخرابات والنواويس
وألف دارٍ مثل القصورِ لها ألفُ ممرٍّ بالشوك مكبوسِ

يتجلى نسق التمرد في النص حيث يظهر الشاعر الفاظا يمدح بها (الوزير) من خلال العلم (اقلام والحبر والقراطيس) يشير بها الى العلم والمعرفة التي يمتلكها الوزير واهتمامه في الكتابة , مبينا دور الاتراك في الحكم واثرها على الوزير , والحقيقة أن الشاعر اضمر الذم في النص للوزير وتمرده السياسي على ادارة وقيادة الدولة ويشبه حكمهم (بالغول) الذي يسطر على الدولة لوجود الظلم والفساد في البلاد . ثم يقول مبيناً حالة الضعف والفقر أو انعدام الحيلة في حكومة سادتها القوة والخضوع إذ يقول : (٣٠)

ثم الوزير الكريم أخرجْني إلى النعيم الباقي من البؤسِ
ثلاثةٌ صرتُ في الغناء بهم أعجبُ من خسة المفاليسِ
ثلاثةٌ يملأونَ حوصلتي لِزقِّ افراخي المهاليسِ

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

قد حرسوتي لازال مُلكهم في ظل أمنٍ بالعز محروسِ

يستمر الشاعر بوصف الوزير بالكريم ظاهريا ولكنه اضمر بخل الوزير وسوء ادارته في النص وقد عدد ما حدث له من اضرار لقربه من الوزير والدولة (اخرجني , اعجب , يملأون حوصلتي ...) واراد بذلك أن يشعر المتلقي بمدى بخل وسوء الادارة في البلاد وانتشار الضعف والفقر في المجتمع , أما قوله (ثلاثة) فهو يقصد زعامة سلطة الدولة بقيادة عضد الدولة و القاضي والوزير .

ونراه يأخذ من أسلوب السخف والهزل طريقاً للتعبير عن السخط عن الواقع المرير في البلاد وتحكم الولاة ونهب خيراتها إذ يقول : (٣١)

ألا يا ماء دِجلة لست تدري بأنَّي حاسدٌ لك طُول عُمري

ولو أنَّي استطعتُ سكرتُ سكراً عليكَ فلم تكن يا ماء تجري

فقال الماء ما هذا ؟عجيبٌ لِم استوجبت . . . . . هُ بالي . . . . . ث شعري

فقلت لهُ لأنك كُلَّ ي . . . . . ومٍ تمر على أبي الفضل بن بشرِ

تراهُ ولا اراهُ وذاك شيءٌ يضيقُ عن احتمالك فيه صـ . . . . . بري

يخاطب ابن الحجاج في النص ماء دجلة مجسما من شخصية يحاكيها وتستجيب له في النص (بالحوار السردي بينهما) اذ يحسد دجلة لتمكن وصول جريان ماءها ووصوله لأبي الفضل بن بشر ,هذا يمثل النسق الظاهري للمراد الشاعر , لكنه اضمر رغبتها في الوصول للسلطة ومقابلة ابي الفضل , واراد بهذا الحوار اثبات صعوبة وقلة امكانية وصول الناس للحاكم في الواقع , وهذا ما يمثل بعد بين السلطة والمجتمع , وكذلك سبب من اسباب انتشار الفقر والظلم بين ابناء الدولة وعدم اهتمام السلطات في الانتباه للرعية ومقابلتهم وتسهيل امورهم في الحياة .

وتأخذ اللغة شكلاً حياً حيث نجد هناك ارتباط مبنياً بين الأفكار من ناحية واللغة من ناحية أخرى (٣٢) , لذا جاءت صورة الشعرية مشبعة بنسق القوة المفرطة والجبروت الانفعالي الذي يزرع في وعي المتلقي ثقافة الخوف، وسياسة البطش التي مكنته فعلا من ممارسة سلطنه الفكرية والفنية بما يثيره من تداعٍ عنيف إذ يقول : (٣٣)

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

مولاي قد مال عُسُر أَمري عليَّ فانحلت العقودُ

واستيقظ النائمون عنِّي ونام عن نصرتي العقودُ

بأمرِ من جوده طريفٌ ونهي من مجدهُ تلي . . . . . دُ

وتزداد لغة الخطاب وشدة النفور من الحكم وكل من يلوذ به إذ يقول في عيسى ابن مروان أحد كُتاب الخليفة مصرحاً تصريحاً قبيحاً. [٣٤]

يا دولة الحُزنِ التي خسف بأيام السُّرور

يا حِدَّة الرَّمدِ الذي لا يستفيقُ من القطور

يا خيبة الأملِ الطَّويـ . . لِ اغتَّر بالعمر القصير

إن هذه الإمكانية اللغوية والفنية أهلته أن يكون فريد دهره وواحد عصره في الحياة فجعل الحياة في مثل هكذا الحكومات بهيئة المتوفي ، الذي ذهبت معه كل الأيام الجميلة ، فما هو الا تجسيد للألم والحزن الذي نشأ به، بمثابة موت الحياة وانعدامها في ظل تلك السلطات.

وتأخذ اللغة مأخذها في قوله للقاضي التَّنوخَّي، الذي كان من رجال عضد الدولة، واحكامه الجائرة إذ يقول : (٣٥)

فالشاعر الحرُّ يشتهي أبداً أن يشيب القضاة أحرارا

مولاي ستخفي الذي أخوضُ به ال نار عباباً وأليس العارا

ما كـ . . . ان شعري إليه منتبـ . . . . . ـاً ولا لـ . . . . ـه صاحبـ . . . ـاً ولا جـ . . . ـارا

هيهات والله ما لكم طمعُ في أن يصير الكناس عطَّارا

يستمر الشاعر في ذم الفساد الاداري للحاكم في النص ويستغرب من الوضع الذي وصل اليه القضاة , ويتمرد في استعمال الالفاظ الظاهر وتبادل المواقع والأدوار بين((الكناس و العطار)) في دولة أصبح كل شيء ممكن فيها. وهي من أبرز عوامل الفشل في إدارة الدولة القاتل للكفاءات، الذي يرفع مقام الوضيع وينقص من مقام الفاضل.

ابن الحجاج يشكو الزمان وتغير أحواله إذ ضاعت مقاييسه واضطرت موازينه . ولم تكن الشكوى داء بالجسد بل ما يعيشه الشاعر في وضع التقلبات السياسية وما يتلوها من أحوال يضطرب بها الأمن ، وبروز مشاهد العنف والظلم.

إذ يقول : (٣٦)

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

سألت يا مولاي عن قصّتي وما اقتضى بالرَّسم إخلالي

وذاكَ داءٌ لم تزل ضامناً من سُقم . . . . . هِ بُرئي وإبـ . . . . لالي

فالشاعر انتقد ضمناً أو صراحة كل الاشكال المعيارية السابقة التي رسخت قيمها الساكنة , واخلاقها الجامدة في التفات والزيف والعنف والظلم فجاءت اغلب قصائده مادحا في الظاهر , ساخرا ومنكرا في المضمر .

الخاتمة :

يحمل شعر ابن الحجاج خطاباً ثقافياً مليئاً بالأنساق المضمرة معبرة عن ما يجول في ذاته من سخرية ونقد لاذع للسلطة والحاكم , و أصبح ضيق الحال والمعاناة بالحاضر نسقا جديداً يمكن أن نسميه (نسق التمرد) بمعنى أن الشاعر تمكن من الهروب من عالمه الخاص الى عوالم شعرية يطغى عليها التمرد والخروج عن قيم العصر لا سيما القيم الدينية والاجتماعية والسياسية , كما أنه استعمل شتى الاساليب في المدح الظاهر وباطنه ذم وعدم رضا علن ادارة الدولة ومن هم قادة البلاد لما خلقوه من فساد وصخب في مدنهم وفي شتى انحاء البلاد الاسلامية آنذاك .

الهوامش :

[١] العين ،الخليل بن احمد الفراهيدي : ٤ / ٢١٨.

[٢] لسان العرب ، ابن منظور, مادة (نسق): ١٣ / ٣٥٣.

[٣] معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس بن زكريا ، باب (النون و السين) :٥ / ٤٢٠.

[٤] النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية , عبدالله الغذامي ,:٧٩.

[٥] جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي انموذجا ، د. يوسف عليمات ، :٤٤.

[٦]) ينظر: لسان العرب, لأبن منظور, مادة, مرد: ١/ ٣٧.

[٧]) ينظر: ضجيج الشعر الاندلسي, دراسة في انماط تمرده الموضوعي ومبانيه الفنية, د. محمود شاكر محمود: ١٨.

[٨]) ينظر : الديوان :٥

[٩]) ينظر : الشعر والشعراء , مصطفى الشكعة : ١٧١

[١٠]) ينظر: التشابه والاختلاف, د. محمد مفتاح: ١٥٦ – ١٥٧

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

[11]) الديوان : ٢/٥٤٤.
[12]) الديوان : ٢/٢٤٣
[13]) الديوان / ٤/٥٢٨.
[14]) الديوان / ٣/٢١٣
[15]) الديوان : ٣/٢٣٨.
[16]) شعرية التفاوت مدخل لقراءة الشعر العباسي , مصفى ابو شوارب :٨١.
[17]) الشعر العربي قضايا وظواهر , عبد الفتاح نافع : ٣١
[18]) تاريخ اداب اللغة العربية , جورج زيدان : ٢/٣٢٧
[19]) الديوان : ١/١٦.
[20]) الديوان :١/١٩٩.
[21]) الديوان : ٢/٦١٢.
[22]) الديوان : ٢/٥١٠.
[23]) الديوان :٢/ ٢٦٨.
[24]) الديوان : ٣/٢٥٨.
[25]) الديوان : ٣/٤٩٠.
[26]) الديوان : ٢/٣٧٢.
[27]) ينظر: العصر العباسي الثاني ,د. شوقي ضيف :٤٥٩.
[28]) الديوان : ٣/١٥
[29]) الديوان : ٣/١٨.
[30]) الديوان : ٣/١٩.
[31]) الديوان : ٢/٤٧٣.
[32]) ينظر: نظرية المعنى في النقد العربي ,د. مصطفى ناصف : ١٥٨.
[33]) الديوان : ٢/١٢٢.
[34]) الديوان : ٢/٤١٦.
[35]) الديوان : ٢/٤٣٢.
[36]) الديوان :٢/٣٤٣.

المصادر:

القرآن الكريم.
١. تاريخ اداب اللغة العربية , جرجي زيدان , مؤسسة هنداوي للنشر , ٢٠١٣.
٢. التشابه والاختلاف, د. محمد مفتاح,المركز الثقافي العربي , بيروت, ٢٠٠٧
٣. جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي انموذجا ، د. يوسف عليمات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر, عمان ، ط١ ، ٢٠٠٤.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

٤. الديوان , ابن الحجاج (ت ٣٩١ه) , جمعه / سعيد الغانمي منشورات الجمل , بيروت , ط:١, ٢٠١٧.
٥. ضجيج الشعر الاندلسي, دراسة في انماط تمرده الموضوعي ومبانيه الفنية, د. محمود شاكر محمود, دار الغيداء للنشر , ٢٠١٨.
٦. شعرية التفاوت مدخل لقراءة الشعر العباسي , مصفى ابو شوارب , دار الوفاء , القاهرة , ٢٠١٦.
٧. الشعر العربي قضايا وظواهر , عبد الفتاح نافع , دار جرير للنشر ,٢٠٠٨.
٨. الشعر والشعراء في العصر العباسي , مصطفى الشكعة, دار العلم للملايين , ٢٠١٠.
٩. العصر العباسي الثاني ,د. شوقي ضيف, دار المعارف , القاهرة ,٢٠١٢.
١٠. العين ،الخليل بن احمد الفراهيدي ، ت، د. عبد الحديد هنداوي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية.
١١. لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف , ط١ , ١٩٨٤.
١٢. معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس بن زكريا ، ت عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر, ط١ , ١٩٧٩.
١٣. نظرية المعنى في النقد العربي ,د. مصطفى ناصف, دار الاندلس .بيروت, ٢٠٠٨.
١٤. النقد الثقافي قراءة في الانساق الثقافية , عبدالله الغذامي , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , ط٣, ٢٠٠٥.

References

Holy Qur'an

1. “History of Arabic Literature” by Georgy Zaydan: Provides an overview of the development of Arabic literature.
2. “Similarity and Difference” by Dr. Muhammad Miftah: Discusses language and literary topics.
3. “Aesthetics of Cultural Analysis in Pre-Islamic Poetry: A Model” by Dr. Youssef Alimat: Focuses on pre-Islamic poetry.
4. “Diwan of Ibn al-Hajjaj al-Baghdadi”: Contains poetry by Ibn al-Hajjaj al-Baghdadi.
5. “Noise of Andalusian Poetry: Patterns of Objective Rebellion and Artistic Foundations” by Mahmoud Shaker Mahmoud: Studies rebellion patterns in Andalusian poetry.
6. “Poetics of Variation: An Introduction to Abbasid Poetry” by Musfi Abu Shawarib: Explores Abbasid poetry.
7. “Arabic Poetry: Issues and Phenomena” by Abdelfattah Nafie: Addresses various aspects of Arabic poetry.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Thi Qar Arts Journal
مجلة آداب ذي قار
P ISSN :2073-6584 | E ISSN:2709-796X
VOL2 NO 44

8. “Poetry and Poets in the Abbasid Era” by Mustafa Al-Shakaa: Focuses on poets during the Abbasid period.
9. “The Second Abbasid Era” by Dr. Shawqi Dhaif: Examines historical developments during the second Abbasid era.
10. “Al-Ain” by Al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi: A lexicon of the Arabic language.
11. “Lisan al-Arab” by Ibn Manzur: A comprehensive Arabic dictionary.
12. “Dictionary of Language Measures” by Ahmad ibn Fares ibn Zakaria: Provides measures and forms in Arabic.
13. “Theory of Meaning in Arabic Criticism” by Dr. Mustafa Naseef: Explores semantic theory in Arabic criticism.
14. “Cultural Criticism: Reading Cultural Patterns” by Abdullah Al-Ghadami: Analyzes cultural structures.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.